- ١٠ -

القَمِيْصُ، العِبْرَةُ الآيَةُ

قال بعض أهل العلم، كابن عباس: إن ابنك سُرِّق، ولم يقولوا: سَرَقَ؛ لئلا يشهدوا عليه بالسرقة، والسؤال لماذا قالوا: إنه سُرِّقُ -عليه السلام- قالوا إما أنه سرق في دين الملك، يعني هذا الذي سمعناه، قال الملك: إنه سرق ونحن لا ندعي أنه سرق والله أعلم بذلك، لكن الذي رأيناه وشاهدناه من حكومة الملك يوسف أنه سرق، وما عرفوا أنه أخاهم يوسف عليه السلام، والثاني قيل: إنه سرق لأننا رأينا الصواع في رحله كل منا أخرج رحله وما وجدوا الصواع إلا فيه؛ لذلك الذي شهدنا به، وقيل: الظاهر لنا أنه سرق والله أعلم بالأمور؛ لأنهم قالوا: ﴿**وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا**﴾، قالوا: هذا الظاهر لنا، لكن السر عند الله والغيب لا يعلمه إلا الله، ونحن لا نزال نثق في أخينا، وليس لدينا إلا الظاهر أن ابنك سرق، وما شهدنا إلا بما علمنا، وما رأيناه في أثناء البحث في الرحل عن الصواع، قالوا: ﴿**وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ**﴾ الآن لسنا نحفظ أسرار الناس، ولا ندري بما يدور في خلد الناس، والله -سبحانه- هو أعلم بغيب الأمر، وهو أعلم بما تخفيه الأمور، لكن هذا هو الظاهر، وهذا هو الحاصل من الإخوة.

ثم قالوا لأبيهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ إن كنت شاكّاً في كلامنا، فاسأل أهل مصر؛ لأنهم حضروا القصة لأنهم لما قالوا: أيتها العير إنكم لسارقون، رجعت القافلة وأوقفوا العير وجاء العسكر، وبحثوا عن الأمتعة وفتشوا في القافلة فحضر الناس وشاهدوا الحدث، وقال صاحب زاد المسير: بل قرية من مصر يعني على مشارف الخروج من المدينة، فهي القرية التي وقعت بها القصة؛ لأنهم خرجوا كما تعرفون بالقافلة، فصاح الصائح بعدما رتب يوسف الأمر، ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، وهم مسافرون، فأوقفوا العير وأقفوا القافلة، وأتى العسكر وبحثوا فوجدوا الصواع، يقول: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾؛ هنا يقول أهل البلاغة: معناها اسأل أهل القرية؛ لأن القرية لا تتكلم، هي جدران، وقال بعض أهل اللغة: لا قيل: اسأل القرية لأن القرية؛ لا يكون فيها إلا سكان بشر فهي على ظاهرها لا تحتاج إلى تأويل، وإلى تقدير، فلا تقل: اسأل القرية، فإذا قلت القرية: معناها سكان القرية المعمورة بالسكان، وكانوا -رضي الله عنهم- شاكين؛ لأنهم فعلوا بيوسف ما فعلوا في الماضي؛ ولذلك سوف يشك فيهم يعقوب، فبالأمس فعلوا ما فعلوا مع يوسف، والآن يقولون: أخونا سرق، فهم عرضة للتهمة والريبة والشك؛ ولذلك قالوا: اسأل القرية التي كنا فيها؛ لأن الصادق أو البريء لا يحتاج إلى أن يقول: اسأل فلاناً واسأل الجيران، واسأل الإخوان، بل هكذا حصل وأنا متأكد ومتيقن، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾؛ لأن القرية في

مصر والعير أتت معهم من فلسطين ليأخذوا الميرة، ويكتالوا الحب من مصر، فمعهم رفقاء، شهدوا الواقع ورأوا الصواع في رحل ابنك، والله ما أدخلنا الصواع نحن، وما ظلمناه وما سرقناه، لكن هذا هو الحاصل وإنا لصادقون، وهم صدقوا في هذا، فهو وقع ما وقع، لكن سوف يرد عليهم يعقوب؛ لأنه ملدوغ من قبل، وسوف تصور عنده الأشجان والأحزان على هؤلاء الإخوة الذين اقترفوا في حقه ما لا يرضى الدّيان جل في علاه، الآن قالوا: وإنا لصادقون، نعم هم صادقون فيما حصل، لكن قبل لم يكونوا صادقين رضي الله عنهم.

قال يعقوب: ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا**﴾، ردها إلى النفوس الأمارة بالسوء، قال: لا والله إن نفوسكم سولت لكم أمرًا وإنكم قمتم بمكيدة، وإن وراءكم خبرًا الله أعلم به، يقول: ما ندري ما الأمر إنما فيه مكيدة وفيه سر، فأنا لا أثق كلامكم، أنتم أخفيتم عليّ يوسف، قال ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾، يقولون: هذا من أحسن الكلام عند المصائب، إذا أتتك مصيبة فقل فصبر جميل، بعد أن تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾ بالأول والثاني الذي أخفيتموه عسى الله أن يأتيني به وبيوسف؛ لأني لا أيأس من روح الله سبحانه وتعالى؛ إنه هو العليم الحكيم، قال سبحانه: وتولى عنهم، يعني: انصرف بوجهه إلى شأنه.

﴿**وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ**﴾، لماذا الآن السؤال، أليس يوسف انتهى من سنوات طويلة. وانتهى البكاء والحزن عليه؟ الآن أخوه

المصاب الثاني هو الذي وقعت فيه الكارثة، فلماذا قال هنا: يا أسفا على يوسف، قالوا: لأن الجرح ينكأ الجرح، والمصيبة تذكر المصيبة، فقال: أنتم ذكرتموني الآن بمصيبتي في يوسف عليه السلام، قال: يا أسفا على يوسف، انظر الجناس اللفظي الجميل في يا أسفا على يوسف، فهنا استخدم يا أسفا على يوسف وهو للتحسر والتفجع، فقال: يا أسفا على يوسف، قال أهل العلم: فهو لا يلام، لأنه معصوم -عليه السلام-، إنما قصده يا أسفا على يوسف، أحيل الأسف هذا وأطلب علاج الأسف هذا دواه من الله، قال: ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾، ابيضت، قالوا: ذهب نورها وانطفأت، وقال بعضهم: كَلَّ البصر، وقال بعضهم بل أصابه عمش، والصحيح أنه فقد البصر -عليه السلام- من كثرة البكاء، إلى درجة أن يفقد البصر، وهذا أمر عجيب ما سُمِعَ بمثله، وينبئ عن حزن عظيم كثير في مستدرك الحال، عن ابن عباس يروي عنه ﷺ أنه قال: «**نزل جبريل على يعقوب، قال يا يعقوب: رأيتك عيناك مبيضة وظهرك محدودب، فماذا أصابك؟ قال: أبيضت عيناي من فقدي ليوسف، وأحدودب ظهري من فقدي لبنيامين**» وفي الحديث: «**قال بكى يعقوب ذات ليلة بعد الصبر، وبعد ما فقد يوسف**» اسمع المناجاة إلى الواحد الأحد، اسمع الالتجاء إلى صاحب الفرج الذي يملك -سبحانه وتعالى- السموات والأرض، الآن يرسل يعقوب رسالة في الليل إلى الله ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير وغيرهم من أهل العلم والحاكم، قال: يعقوب يبكي بين

يدي ربه وهو يصلي ويسجد لربه، يا رب ارحم شيبتي، ارحم ضعفي، ارحم ابيضاض عيوني، فأوحى الله إليه يا يعقوب وعزتي وجلالي وارتفاعي على خلقي، لو كان ابناك ميتين لأحييتهما لك. فردهم الله سبحانه وتعالى عليه، قال: ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾، قالوا: كظيم أي: مكظوم يكظم أنفاسه من شدة الهم والغم، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ وأصله من كظم القِدْرِ إذا استجمع غليانًا فكظم بفوره وكظم بغليانه، قال: فهو كظيم أي مكظوم، فعيل بمعنى مفعول، أي: كظم ما في صدره من الغيظ ومن الحزن، ومن الأسى واللوعة على يوسف وعلى أخيه، يقول: يا أسفا على يوسف وعلى العين وعلى الصدر، قال الرازي: جمع بين هؤلاء الثلاثة؛ لأنها أهم شيء عند الإنسان القلب والعين واللسان، أما اللسان: فقال: يا أسفا على يوسف، وأما العين فابيضت عيناه، وأما القلب فهو مكظوم من الحزن، قال أبناؤه وهم يشهدون هذا المشهد، وهذا المنظر أمامهم، قالوا: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ**﴾، قالوا: لا تفتأ هنا حذف اللام النافيه عند العرب، قالوا والله لا تفتأ حتى تستمر تذكره دائمًا، كلما أتتك مصيبة ذكرتنا بيوسف، الآن الواجب أنَّ تطاولَ الزمان أنساك يوسف، يقولون: نحن في قضية نخبرك عن أخينا بنيامين، نحن في معضلة أخونا سرق وهو الآن محبوس وممسوك، فالآن تذكرنا بيوسف، ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا**﴾ الحرض الدلف أو المريض أو من ذهب عقله، أو من فسد جسمه، هذه المعاني، قالوا: الآن

تستمر على البكاء على يوسف حتى تكون حرضًا، قال بعض المفسرين: حتى تجن وتفقد عقلك، ويفسد جسمك وتمرض وتذهب قوتك وحيلك بسبب ذكراك ليوسف، انتهى الزمان، الزمن كفيل أن ينسيه، لكن من أين ينسيه الزمان فلذة كبده وشجا روحه عليهم السلام، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ إما أن تمرض، وإما أن تموت، وإما أن تجن، وإما أن تذهب وتفادي الدنيا، هذا كلامهم له، هذا الحوار له بدلاً من التعزية، بدلاً من أن يقولوا: اصبر عسى الله أن يجعل لك فرجًا، عسى الله أن يجمعك بأبنائك نجتمع جميعًا. قالوا: الآن تعيدنا إلى يوسف، وتبكي على يوسف، والله إنك لا تزال تبكي حتى تفقد عقلك، وتفقد صحتك، أو تموت الآن، قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ البث أشد الحزن، فإذا جاءك حزن وأردت أن تبثه لا يمكن أن تخبر به، ولا يستطيع أن تبثه فسوف يتفجر، فأشد الحزن البث، ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، يقول: يا ربي ارحم بثي، يا ربي ارفق بحزني، يا رب انظر إلى حالي، ربي الشكوى عليك، وانظر إلى النتائج سوف تكون لمن اعتمد على الله.

قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، هنا وقفة ما الذي يعلمه يعقوب -عليه السلام- من الله ما لا يعلمه أبناؤه؟ قال أهل العلم: أعلمه جبريل أن ابنك يوسف محفوظ وسوف تجتمع فيه. وقال الثاني: عُلِّم أن الله عز وجل لن يخذل يوسف، ولن يتخلى عنه، ولن يتركه فعلم النبوة علمه بأن الله سوف

يجمعه به. والثالث قالوا: علم أن الله لا يشيع دعاءه، وأنه سوف يستجيب له؛ ولذلك لما أوحى إليه وعزتي وجلالي وارتفاعي على خلقي لو كان ابناك ميتين لأحييتهما، لك فهذا الذي قاله أهل العلم. في الباب وفي المسأله قال: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ فالعلم له -سبحانه وتعالى- وهو اطلاع أسرار الخوافي التي يعلمها سبحانه، ولا يعلمها الناس، قال: وأعلم من الله ما لا تعلمون، فثقتي في ربي لما أطلعني الله -سبحانه وتعالى- عليه، قالوا هنا: الآن لا تيأس ما دام أنك تسأل الباري ففرجه قريب، ولطفه قريب، وهو سميع مستجيب.

ثم التفت إلى أبنائه، وقال: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾، قالوا: لا تحدثنا عن يوسف وهو ميت من زمان، تالله تفتأ تذكر يوسف، أصبح في الماضي، فهم لم يظنوا أنه في مصر، أو أنه هو الملك الذي قابلهم وأكرمهم، قال هو: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف، انظر إلى علم النبوة الآن يبدأ، وهم متعجبون منه لماذا يذكر يوسف؟ وهل نجتمع بيوسف، قال: اسألوا عن أخبار يوسف، هم يريدون قطع أخبار يوسف، لماذا قال تحسسوا، ولم يقل: تجسسوا؟ قال أهل العلم: التحسس في الخير، والتجسس في الشر، فتحسس الخبر يعني خبر البشرى والخير، وتجسس يعني خبر التهمة والشر في القرآن، ولا تجسسوا: أي لا تطلبوا أخبار الناس السيئة لتؤذوهم، وهنا فتحسسوا، أي: اطلبوا الأخبار السعيدة السارة من يوسف، وانقلوها لنا، يا بني: ﴿**اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾

أي: اسألوا عن الاثنين عن أخبارهم لعلهم اجتمعا، لعلهما موجودان، قال هنا: ﴿**وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ**﴾ أي: احذروا أن تقنطوا، إنه الفرج، وإن الله سيجمعني بهم، لا تيأسوا من البحث، ولا تيأسوا من العون أو الفتح الذي سيحصل، وأتى بقاعدة مطردة، قال: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾، يقول صاحب الطحوية: واليأس من روح الله كفر يخرج من الملة، فعلق بعض العلماء قال: لا، كل كَافرٍ يائِس من رحمة الله، لكن ليس كل من يئس من رحمة الله هو كافر، وفيها نظر. فقد يبلغ من الإنسان ضعف اليقين، وضعف العلم، وضعف الإيمان إلى أن يصل إلى درجة اليأس، لكنه يدل على ضعف الإيمان، أما كل كافر فهو يائس من رحمة الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، قال: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾، رجعوا وأخذوا بوصية أبيهم، وانظر إلى الحوار الآن كيف يأخذ الفواصل؟ ويطوى الزمان والمكان، رجعوا الآن من فلسطين وعادوا إلى مصر، ودخلوا على العزيز الذي هو يوسف عليه السلام، لكنهم لا يدرون أنه يوسف، ولا يدرون أنه هو ملك مصر، ولا يدرون أن الله حفظه ورعاه ومكنه في الأرض، فدخلوا عليه مرة ثانية بعد ما قبض على أخيهم وأتى بأخيه، فقال له: ﴿**إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ**﴾ ولا تخف ولا تحزن وهم يظنون أنه محبوس بالتهمة وفي الصواع.

﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ**﴾، قيل: الحاجة والفقر، وما أتانا من قحط وجدب في الديار ﴿**وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ**﴾، قالوا: دراهم زائفة أو قديمة، وقيل: حبال رثة وأمتعة

جمعوها من الإقط وسمن الغنم، وأتوا بشيء من الماعون الذي في بيوتهم، وهو قديم بالٍ لا قيمة له، وقيل: الوبر والصوف؛ لأنهم لم يكونوا تجارًا، ولم يكونوا أغنياء، فالأنبياء الذين أصلحوا العالم كانوا فقراء، فانظر إلى بيت يعقوب، وانظر إلى بيت فرعون يعيش في القصور والدور التي تجري من تحتها الأنهار، ويعقوب يرسل الإقط واللبن المجمد، ويرسل الحبال البالية والصوف، ليأخذ حبّاً يأكله هو وأهله وأطفاله، وهو نبي رسول من عند الواحد الأحد. هذه حال الدنيا، قالوا: ﴿**وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا**﴾، وزدنا في الكيل ما دام أنك العزيز، وعندك خزائن مصر، وعندك هذه الأموال، وهذه الميزانية تصدق علينا، وعندهم آثار من النبوة ، فقد تربوا في بيت نبوة، قالوا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾، فلن يضيع عند الله شيء، انظر كيف تدور الحوادث وما عرفوا أن أخاهم هو الذي يسير الناس الآن ويحكم مصر وعنده مال، قالوا: إن الله يجزي المتصدقين، يُذَكِّرون يوسف وهو الذي يأتي بهذه المعاني الجليلة - عليه السلام- وهو نبي من عند الواحد الأحد ورسوله.

يقف يوسف الأن أمامهم وما تكلم في الكيل ولا في الصواع، ولا في أخيه، ولا في البضاعة المزجاة، ولا في أن يتصدق، جلس الآن يلتفت وجهًا لوجه، قال: ﴿**هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾ يقول: ما تذكرون ما عملتم بنا، أنتم تستحضرون ماذا فعلتم بيوسف هل مر بكم أخ اسمه يوسف، قبل أن نتكلم بالإقط والحبال البالية هل مرَّ بكم يوسف ﴿**إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾، قالوا: غفر الله

ليوسف -عليه السلام- اعتذر لهم قبل أن يعتذروا، قال: إنكم جاهلون، فأنا أعرف أن طيش الشباب يحدث أكثر، وأنا أقدر الأحوال التي عشتم فيها، قال أهل العلم: الله ما أسمح قلبه، ما أكرمه، وما أبره عليه السلام وعلى أبيه وعلى سائر الأنبياء والرسل.

قال: إذًا أنتم جاهلون، لكن يذكرهم فقط يقول: أنا أذكركم حتى تكتشفوا المسألة، من يستطيع أن يدري ما حدث ليوسف إلا يوسف؟ ما حضرهم أحد يوم أنزلوه في الجب، ولا يوجد هناك شاهد، ولم يراهم أحد من الناس، وبذكائهم عرفوا، ﴿**قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ**﴾ أنت يوسف، الذي وضعناه في الجب، وقلنا: أكله الذئب. أنت يوسف هذه المفاجأة، يقول أهل العلم: هذا موقف العفو العام الذي لم يسمع التاريخ بمثله، ولذلك امتثله رسولنا ﷺ جاء بعض قرابته قالوا: له ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، فهنا أتى بالمشهد وأتى بالموقف التاريخي، ﴿**قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ**﴾ قالوا هذا، أإنك للتوكيد، أنت يوسف ﴿**قَالَ أَنَا يُوسُفُ**﴾ الذي شردتموه من أبيه وأمه، أنا يوسف الذي أبكيتم والديه، أنا يوسف الذي أسهرتم عين أبيه، أنا يوسف الذي بِيع مَن أجلكم، أنا يوسف الذي جلس في الظلام في البئر وحده بين الذئاب الوحوش، أنا يوسف الذي رُكّب مع القافلة وباعوه في سوق الرقيق في مصر، وخدم في بيت الملك، ثم اجتباني ربي إلى هذا الانتصار، وإلى النبوة، وإلى المُلك أما تعلمون أن الله قدير،

أليس الله يقلب الليل والنهار جل في علاه، أليس الله محيطًا بكل شيء سبحانه، وتوكلت عليه لا إله إلا هو، ﴿**قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي**﴾ خرجوا الآن في المفاجأة، قال: ﴿**قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾، أنتم حاولتم الإضرار بنا لكن الله له المنة سبحانه وتعالى، ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، يتقي فيما أمر الله به، ويصبر انتظار الفرج وقال: إني صبرت وفرج الله عني، قال: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ**﴾ هذه لكل أحد، لكل من يتقي أمر الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين؛ لأنه أحسن في القول والفعل والتصرف، وأحسن في ترك المعاصي، وأحسن في طاعة الباري سبحانه وتعالى، فجعلها قاعدة المؤمنين، والقرآن يعتني بالظاهر والمطلق وبالعام وبعموم اللفظ، وبخصوص السبب قال: يا عباد الله: يا من يقرأ القرآن: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ فكان محسنًا عليه السلام، الآن يا للخجل، يا للحسره ويا للندامة الآن لابد أن يتكلموا فقد انكشفت أوراقهم أمامه، وليس هناك فرارٌ مما فعلوا به، كيف يفرون؟ هل يكذبون ما رأوا؟ هل ينكرون وهم الذين قاموا بالقصة معه؟ وقفوا أمام هذا المشهد حائرين عليهم السلام، وغفر الله للجميع، قالوا: كلمة ﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾، والله إن الله قدمك علينا، والله إن الله كرمك علينا، أنت المظلوم ونحن الظلمة، وأنت السيد الآن ونحن المسودون، وأنت في بيت النبوة والملك والعزة، ونحن كما ترى، أنت بريء ونحن متهمون، وأنت بار بالوالد ونحن قطعنا حق والدنا وعققناه وكنا

سببًا في إتعاسه ﴿قَالُوا تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فهم يقولون من قلوبهم: ﴿تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، فاختاروا اللفظة قالوا: ﴿تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: قدمك، أكرمك علينا وجعل لك الزُّلفى علينا بما اختصك -سبحانه وتعالى- من السر والصلاح الذي في قلبك، ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾، اعترفنا بالخطأ، والله أخطأنا وأسأنا معك يا يوسف سامحنا، قطعناك عققناك أسأنا معك، جهلنا عليك وإن كنا لخاطئين، والخاطئ هو الذي فعل الفعل آثمًا. والمخطئ هو الذي يتأول في الفعل ولا يريده، وإنا كنا لخاطئين الآن يجيب -عليه السلام- عليهم، واسمع إلى العفو الذي ينبغي لي ولك أن نمتثله: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ لا لوم عليكم اليوم، ولن أنتقم منكم، ولن أقتص منكم، قالوا: لماذا قال لا تثريب عليكم اليوم؟ قالوا: لأنه أجل العفو، وأرفع العفو أن لا تثرب أي لا لوم، يقول: والله حتى اللوم لا ألومكم، ولكم مني أن لا أذكركم في القصة من الآن فصاعدًا مهما جرى بيننا، لن أقول: إنكم أنزلتموني في غيابة الجب، وعرضتموني للذئب والوحوش وللبيع والإهانة والطرد والتشريد، والله لن أذكر هذا ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، قالوا: الكريم: لا يثرب، وإذا عفا الكريم عفا، فلن أعاتبكم غدًا، لا تثريب عليكم اليوم، واسمع إلى الصفح والكرم والجود والحلم، قال: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يقول: غفر الله لكم وسامحكم الله وعفا الله عنكم عما جرى. والعجيب في الأمر حسن اختيار القفلة في الجمل على الإطلاق هذه القفلة ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ جل في علاه.